

The Plague of the Late 7th Century Ah and its Impact on the Eastern Islamic Country

Ismail Hamed Ali

Abstract

This Study deals with the Epidemic or Plague that afflicted a number of Islamic Countries; Egypt, the Arabian Peninsula, Yemen and Syria during the late Seventh Century AH, and the effects of this Plague, that resulted in an enormous number of victims exceeding more than a hundred thousand of the dead in one country, which indicates the extent of the severity of this Epidemic in the countries of the Islamic Eastern countries. Then the Study is focussing on the effects of this Plague, and how the rulers and nobles, and the wealthy people dealt with this major healthy crisis at that time, which we can benefit from in our recent days and to get more human lessons.

طاعون أواخر القرن السابع الهجري وأثره في بلاد المشرق الإسلامي

إسماعيل حامد إسماعيل علي

أستاذ مساعد، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الجامعة
الإسلامية بولاية منيسوتا، الولايات المتحدة الأمريكية

المُلخَص

تتناول هذه الورقة "الوباء" (الطاعون) الذي أصاب عدداً من بلاد المشرق الإسلامي لاسيما مصر، و"جزيرة العرب"، واليمن، وكذلك بلاد الشام خلال المرحلة التاريخية التي تؤرخ لأواخر حقبة القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، وذلك في ضوء ما ورد في الروايات والمصادر التاريخية المعاصرة أو اللاحقة له، ومن ثم التعرف على أحداث هذا "الوباء"، وأسباب وقوعه. ومعلوم أن هذا "الوباء" كان جائحةً أصابت عدداً من الدول في آن، وقد بدأ منذ سنة 695هـ، ويُعتقد أنه دام بضع سنوات بعدئذ. وكان هذا "الوباء"، وما رافقه من صنوف البلاء مثل الجفاف، والمجاعات، والغلاء من أقسى ما وقع بالمسلمين من الأوبئة والأمراض إبان "العصر الوسيط". وتذكر المصادر التاريخية أنه نتج عنه أعداد كبيرة من الموتى والضحايا؛ حيث يُقال إن أعدادهم تجاوزت بلغت أكثر من "مائة ألف" من الموتى في بلد واحد (وهي مصر)، وهو ما يُشير إلى لفداحة "الوباء"، وشدته. كما تذكر بعض الروايات أن آلاف الموتى كانوا يخرجون كل يوم من كل باب من أبواب "القاهرة" في ذلك الوقت. كما تحدثت الدراسة عن الكيفية التي عالج بها الحكام، والأمراء، ورجال السلطة هذا "الوباء" في تلك البلاد، وكذلك ناقش دور الأثرياء، وأهل البر خلال تلك الكارثة الكبرى التي أصابت الناس، ومحاولات التخفيف من عواقب هذا "الوباء" على الفقراء والمحتاجين في ذلك الوقت.

الكلمات المفتاحية: (الطاعون، الوباء، القرن السابع الهجري، المشرق الإسلامي، مصر، جزيرة العرب، بلاد الشام، الكارثة، الضحايا.. إلخ).

الهدف من الدراسة

تهدف الدراسة إلى الحديث عن أُنموذج من نماذج " الطواعين " ، أو " الأوبئة " التي أصابت الناس بالمشرق الإسلامي ، كما أصاب " الوباء " ذاته بعض الأقاليم الأخرى الواقعة في بلاد المغرب الإسلامي أو آخر القرن 7هـ / 13م ، وهو ما يعني أنه كان يُشكل جائحةً و كارثة واسعة الامتداد . وسوف تركز الدراسة على وقوع هذا " الوباء " (" الطاعون ") في المشرق الإسلامي ، وأثر ذلك على المسلمين في هذه البلاد ، وما ترتب عليه من العواقب . وتعتبر رواية " المقرئزي " (ت : 845هـ) من أهم المصادر التي تحدثت عن هذا الوباء ، وما أحدثه بالناس . وسوف تعرض تلك الدراسة أمر هذا " الوباء " ، وأسبابه ، وما حل بالناس من المكابدة والمُعانة في آن ، كما تتناول الدراسة معالجة الحكام لتلك الجائحة ، وتعاطيهم معها ، ودور باقي طبقات المجتمع في مواجهته ، ومن ثم كيف انتهى أمر هذا " الوباء الجائح " بعد ذلك .

إشكالية الدراسة

يُعد موضوع تلك الدراسة أحد الإشكاليات التاريخية التي لاتزال تحتاج مزيداً من الدراسة ، والتحليل العميق نظراً لأهمية دراسة " الأمراض " ، و " الأوبئة " عبر التاريخ ولاسيما بعدما أصيب العالم هذه الأيام بجائحة " كوفيد-19 " . ويجدر بالذكر أن الحديث عن ذلك " الوباء " الذي أصاب بلاد المسلمين خلال القرن 7هـ / 13م جاء عابراً في أكثر الروايات التاريخية ؛ إذ لم تهتم المصادر بأمره بقدر ما كابد المسلمون من الأهوال إبان وقوعه ، وما ترك بهم من المُعانة ، والشدة سوى ما ورد في بعض الروايات المصدرية المحدودة ، ولعل أبرزها بعضُ الإشارات التي أوردها " المقرئزي " . ولا ريب أننا في مسيس الحاجة لدراسة هذا الصنف من " الأوبئة " الكارثية في إطار " المنهج التاريخي " ، وضوابطه ، لناخذ العبرة مما وقع بالناس ، وكيف عبروا تلك المحنة بأمان ، ومن ثم التأكيد على أن أمر تلك " الأوبئة " ليست إلا أموراً عارضةً قد نتعرض لها في حياتنا منذ القدم ، تضرّبُ الناس في بعض الأحيان ، ومن ثم يُعانون وقتها ، ثم تذهبُ لحالها .

منهجُ الدراسة

تعتمد هذه الدراسة على المنهج التاريخي النقدي الذي يقوم على دراسة المصادر والروايات المتعددة التي ناقشت تلك الإشكالية التي نحن بصدد الحديث عنها في ثنايا هذه الدراسة بشكل عميق، وموضوعي، ومن ثم محاولة تحليل المادة التاريخية والخبرية، ومقارنة الروايات المعاصرة للحدث، أو تلك القريبة من زمان "الوباء" للوصول لأقرب تصور للحقيقة التاريخية.

أولاً- أسبابُ هذا الطاعون

لفظُ "الطاعون" لغةً مأخوذٌ من "طَعَنَ"، و"الطاعون": "الموتُ من الوباء"، والجمعُ: الطواعين أما "الوباء"، فأصله من الفعل: "وبأ"، ومنه: "الوبأ"، وهو "الوباء"، و"الطاعون"، وقيل: الوباء هو كلُّ مرضٍ عام، والجمعُ: "أوبية"، و"أوباء"⁽¹⁾. ويُقال أيضاً في اللغة لوصف بلد من البلدان بأنها "وبئة"، أو "أرضٌ وبيئةٌ" على وزن "فعيلة": ويُقصد بها "الأرضُ كثيرة الوباء"⁽²⁾. ويرى البعض أن "الطاعون" أخص من لفظ "الوباء"، وهذا الأخير وصفٌ لكل مرضٍ فتاك، ومُنْتَشِرٍ بين الناس⁽³⁾. وثمة علاقةٌ يراها البعض، ومنهم "ابن خلدون" (ت: 808هـ) تربط بين وقوع الجفاف والمجاعات في أي بلد من جانب، وإصابة الناس بالأمراض من جانب آخر، وهو ما يُشير إلى أن المجاعات والأمراض مرتبطان ارتباطاً وثيقاً كل منهما بالآخر؛ إذ إن وقوع كل من الجفاف والمجاعات ربما يؤدي إلى انتشار الأمراض، والإصابة بالأوبئة بعد ذلك⁽⁴⁾. ومن ناحية "التأصيل التاريخي" لهذا "الوباء"، أو "الطاعون" الذي نحن بصدد الحديث عنه، فمن المعلوم أنه بحسب المصادر التاريخية أصاب عدداً من البلاد سنة 695هـ، ومن ثم فإنه كان أشبه بـ"الجائحة" التي عمت كثيراً من الناس في الوقت نفسه⁽⁵⁾؛ إذ إن هذا البلاء لم يقتصر على إقليم واحد، أو بلدٍ واحد من بلاد المسلمين في ذلك الوقت، فقد ضرب الوباء العديد من البلاد الإسلامية في الشرق بشكلٍ أكثر وضوحاً منها في بلاد المغرب⁽⁶⁾.

ولم يكن ذلك المصاب في هذه البلاد بذات الدرجة، والحدة؛ إذ اختلفت الأحوال

من بلدٍ إلى آخر بقدر ما أصابها منه، كما أن "الوباء"، وما صاحبه من القحط، والجفاف، وكذلك الغلاء الشديد في الأسعار اختلف في حدته من موضع إلى آخر، وهو ما سوف نُفصل في تناوله في المباحث التالية. وعلى أية حال فقد أصاب ذلك "الطاعون الجائع" مصر خلال العام الثاني من حُكم السلطان "العادل كُتُبغا" (694-696هـ)⁽⁷⁾ أحد سلاطين دولة المماليك (923-648هـ)⁽⁸⁾. وتُشير أكثرُ المصادر إلى هذا "الطاعون" بلفظ "الوباء"، ويذكره بذلك: "النويري" (ت: 733هـ)⁽⁹⁾، و"المقريزي" (ت: 845هـ)⁽¹⁰⁾، و"ابن تغري بردي" (ت: 874هـ)⁽¹¹⁾. وغيرهم من قُدامى المؤرخين الكلاسيكيين. وعن ذلك الوباء يقول "ابن تغري بردي": "فيها (أي سنة 695هـ) كان الغلاء العظيم بسائر البلاد. وكان بمصر مع الغلاء وباءً عظيم أيضاً.."⁽¹²⁾. بينما تذكره بعضُ المصادر الأخرى بـ"الطاعون"، ومن ذلك رواية "ابن إياس" (ت: 930هـ)⁽¹³⁾، وغيره، فيما يذكره آخرون بـ"الفناء" إشارة لشدته، وما نتج عنه من الضحايا، ومنها رواية ابن كثير (ت: 774هـ)⁽¹⁴⁾.

ويجدر بالذكر أن المؤرخ "ابن الفوطي" (ت: 723هـ)، وكان مؤرخاً معاصراً لأحداث "الوباء"، سواء في مصر أم في بلاد المشرق الإسلامي، إلا أنه لم يتحدث عنه، ولم يُشر إليه بثمة إشارة⁽¹⁵⁾، بل كانت إشارته الوحيدة في حولياته حول الأحداث التي وقعت إبان السنوات الأخيرة من القرن 7هـ/13م، وهي وقوع طاعون في بلاد فارس سنة 698هـ⁽¹⁶⁾؛ أي بعد انتهاء هذا الطاعون الذي نحن بصدهه بسنوات. بينما يصف "النويري" (ت: 733هـ) هذا الطاعون بأنه كان بمثابة "الفناء العظيم"⁽¹⁷⁾ في إشارة جلية إلى ما تسبب فيه هذا الوباء من فناء وهلاك لأعداد هائلة من الناس. ويرى البعض أنه من أشد الأزمات الاقتصادية التي عانى منها سلاطين المماليك كانت تحدث في الغالب بسبب انخفاض منسوب مياه النيل، وكانت تزداد الأمور سوءاً إذا أصابت الناس صنوفٌ من الأوبئة والأمراض في الوقت ذاته⁽¹⁸⁾. وعن ذلك، يقول "النويري": "واستهلت سنة خمس وتسعين وستمائة، في هذه السنة اشتد الغلاء بالديار المصرية، وكثر الوباء.."⁽¹⁹⁾. وربما يُفهم من هذه الرواية أنه كانت قد وقعت المجاعة أولاً، ثم تبعها ظهور "الطاعون"، وهو ما يبدو واضحاً في أكثر الروايات الأخرى؛ مثل المقريزي، وغيره من المؤرخين القدامى.

وفيما يرتبط بـ "الوباء" ، ووقوع الجوع والغلاء، يذكر ابن تغري بردي (ت : 874هـ) :
" السنة الثانية من ولاية الملك العادل كتبغا . وهي سنة خمس وتسعين وستمائة، فيها
كان الغلاء العظيم بسائر البلاد، ولاسيما مصر والشام، وكان بمصر مع الغلاء وباء عظيم
أيضاً، وقاسى الناس شدائد في هذه السنة . . " (20) . وعن وقوع ذلك الطاعون بمصر،
وغيرها من البلاد الأخرى، يقول ابن إياس : " ومما وقع في هذه السنة من الحوادث
العظيمة، أن الطاعون وقع بمصر وأعمالها، واشتد الأمر جداً حتى صار الناس يتساقطون
موتى في الطرقات . . " (21) .

وتلك روايةٌ مُهمّةٌ في تأكيد وقوع "الوباء" في العديد من البلاد الإسلامية التي
كانت تتبع سلطان مصر آنذاك . وربما كانت البداية الأولى لما وقع من كوارث طبيعية
بلغت ذروتها سنة 695هـ، أنه وقع الجذب والجفاف غرباً في إقليم برقة (22)، وأعمالها سنة
694هـ؛ حيث انقطعت الأمطار، ولم يصب البلاد شيءٌ من الوابل، أو الطل (23)، كما
تصادف في الوقت ذاته أن قل ماء نهر النيل بمصر (24) . بينما يُشير آخرون إلى أن الطاعون
بدأ سنة 694هـ؛ حيث وقع القحط في برقة، ثم انتقل إلى الوجه البحري بمصر، ولهذا
هرب الناس إلى أقاليم الإسكندرية والبحيرة، ومن ثم انتشروا في الربا والوهاد، ولهذا
فَشَت الأمراضُ بينهم (25)، فهذا طرحٌ آخر لإشكالية انتشار "الوباء" بين الناس . بينما
يُشير آخرون إلى أن "الجراد" كان قد هاجم إقليم "برقة"، فأكل لحم أكتاف أهلها،
وانتشر الدُمُ الفاسد بينهم، فهاجروا إلى مصر بأعداد كبيرة، فهلكوا، وتسببوا في هلاك
الكثير من المصريين معهم (26)، وهكذا تبدو الصورة واضحة أمامنا حول الإرهاصات
الأولى للوباء، وكيف انتشر بين الناس . وتُعتبر رواية "المقريزي" (ت : 845هـ) من أهم
ما ورد في المصادر في هذا الشأن، وما ارتبط بهذا "الوباء"، وكيف أصاب الناس (27) .

ويذكر "المقريزي" أنه في سنة 695هـ وقع غلاءً شديداً، واشتدت الأمور على
الناس، وعلى الرغم من ذلك كانوا ينتظرون فرجاً قريباً، وكان الناس يمينون أنفسهم
بمجيء موسم الغلال حتى تنضب أمورهم (28) . وعندما أدرك الناس أن ذلك الحصاد،
وصاروا أقرب ما يكون من الحصول على ثمار ما زرعه، وقع بهم هذا البلاء (29) .
وبحسب تلك الرواية فأصل "الطاعون"، ومبدهؤه الأول، أنه هبت ريحٌ عاصفة قادمة من

التخوم الغربية لمصر، وتحديدًا من نواحي "برقة"، وكانت العاصفة تحمل تراباً هائلاً يميل إلى الصُّفرة، وغطت تلك الأتربة الحقول مما أفسد المزروعات والمحاصيل، وهو ما نتج عنه ذلك الجفاف والقحط بأرض مصر. وعلى ذلك فرواية "المقريري" مهمة في وصف ما حل بالناس في ذلك الوقت، وأن الشدة جاءت بما لم يتوقعه أحد. ولم يقتصر الخطبُ الذي ألم بالناس على ذلك؛ حيث تدهورت أحوالهم، وأبدانهم، وأصابتهم الأمراض بما لا يخطر على بالهم، ولهذا يقول أيضاً: "وأعقبت تلك الرياحُ أمراض، وحميات⁽³⁰⁾ عمت سائر الناس...".⁽³¹⁾ ولعل هذا يُشير إلى شدة البلاء الذي وقع، وأن الأمراض انتشرت بينهم، وكان أبرزها ما يرتبط بـ"الحُمى"، وهو المرضُ الذي يرتبط دوماً بـ"الطاعون" أكثر من غيره. وتبين تلك الإشارة بوضوح أن الأمراض والحُمى كانت قد عمت كثيرين من الناس آنذاك، ثم يكمل مؤرخنا تلك الصورة القائمة؛ حيث اختفت من الأسواق المواد التي كان يحتاج إليها المرضى للتداوي من الأمراض التي أصابتهم، ومن ثم ارتفعت الأسعار ارتفاعات غير مسبوقة⁽³²⁾. ويرى الباحث أن هذه الرياح التي تذكرها المصادر يُقصد بها في الغالب "رياح الخماسين"⁽³³⁾، وهي رياحٌ تهبُّ على مصر أواخر الشتاء، وبدايات الصيف، وتأتي هذه الرياح دوماً من الصحراء الواقعة غرباً، ومعلومٌ أن هذه الرياح قد تأتي بالأمراض والأوبئة⁽³⁴⁾، وهو ما يتوافق مع رواية المصادر التاريخية حول هذا "الوباء" الذي نحن بصددده.

ثانياً- أحوال المسلمين في بلاد المشرق وقت الوباء

لم تقف الشدة بسبب "الوباء" (أو "الطاعون") الذي ضرب الناس سنة 695هـ، وما صاحبه من قحط وجفاف عند شعب معين آنذاك، فقد أصاب القحط، والوباء، والأمراض كثيراً من البلاد الأخرى. فتذكر المصادر أن هذا البلاء ضرب عدداً من البلاد الإسلامية في آن، وعن ذلك يقول المقريري (ت: 845هـ): "وقحطت بلادُ الشرق، وهدمت دوابهم، وهلكت مراعيهم، وأمسك المطر عنهم...".⁽³⁵⁾ وعلى هذا عمَّ البلاء، ولكن على اختلاف شدته، وتنوعه من بلدٍ إلى آخر. وإن كنا لا ندرى على وجه اليقين هل انتقل الوباء من بلدٍ إلى آخر، أم أن ذلك وقع بمحض المصادفة، بينما كان القحط في هذه

البلاد يقع في الغالب بسبب حدوث ظروف مناخية وطبيعية متباينة، فالقحط والجفاف بمصر يرتبطان بضعف منسوب نهر النيل القادم من الجنوب⁽³⁶⁾. أما في البلاد الأخرى: مثل بلاد الشام، وبلاد الحجاز، واليمن فيرتبط القحط والجفاف في الغالب هناك بقلّة الأمطار التي تسقط عليها⁽³⁷⁾، وتصف المصادر التاريخية أيام هذا "الوباء" وشدته على الناس، بأنها كانت أيام "الهلاك، والغلاء، والقحط"⁽³⁸⁾.

ويذكر "ابن الفرات" (ت: 807هـ) أن الوباء والمجاعة كانا قد امتدا آنذاك (أي سنة 695هـ) إلى منطقة "برقة"، وما جاورها من الأقاليم، وبلاد المغرب ونواحيها، وفي بلاد الحجاز، وجميع الحدود الشرقية والغربية⁽³⁹⁾، وهو ما يؤكد أن هذا الوباء كان جائحةً كبرى في ذلك الوقت. ويُحدد البعض من جهة أخرى أسباب وقوع الوباء وما رافقه من المجاعات، أن ذلك يرجع إلى القحط، والجفاف غير المحدود الذي كان قد وقع؛ وهو ما أدى إلى قلة المعروض من الطعام، ومن ثم غلاء الأسعار، ولهذا يقال إن الناس أكلوا الجيف من شدة الجوع، وقسوته، كما تزايدت أعداد الموتى والضحايا بسبب الجوع، والإصابة بـ"الوباء"⁽⁴⁰⁾. ولعل هذا الرأي يجعل الوباء والأمراض التي أصابت الناس في ذلك الوقت نتيجة لوقوع الجفاف والقحط في بدء الأمر، وليس العكس.

الطاعون في مصر

يبدو أن أرض مصر كانت من أكثر بلاد العالم الإسلامي التي تأثرت بهذا "الطاعون" أو "الوباء" آنذاك، وقد أصاب المصريين بسببه ما لا يُطيقون، سواء من جانب "الطاعون" وما لازمه من "الأمراض" و"القحط" الذي ضرب بلادهم بسبب انخفاض منسوب نهر النيل عن المعتاد، ومن المعروف أن منسوب نهر النيل الطبيعي يبلغ 16 ذراعاً⁽⁴¹⁾. ويبدأ ارتفاع منسوب النهر في المعتاد في شهر "يونيو" (حزيران)، ومن اللافت أنه إذا ارتفع منسوب نهر النيل عند 18 ذراعاً، أضر ذلك بأراضي مصر، وربما أصيب الناس بالأمراض بسبب ذلك⁽⁴²⁾. ومما زاد الأمور سوءاً في مصر أن هجرات كثيرة من البلاد الأخرى التي أصابها الضرر في ذلك الوقت جاءت إلى مصر بحثاً عن حال أطيب مما هم فيه، فاشتد البلاء بالمصريين أكثر؛ فقد كانوا في شدة عظيمة آنذاك، وزاد القحط والجوع بالناس، وقد أدى ذلك إلى كثرة أعمال النهب والسلب بحثاً عن

الطعام⁽⁴³⁾، يقول "المقريزي": "واشتد الأمر بمصر، وكثر الناس بها من أهل الأفاق، فعظم الجوع..".⁽⁴⁴⁾ أما بخصوص الأمراض التي أصابت المصريين في ذلك الوقت؛ فيقول المقريزي: "عظم الوباء في الأرياف والقرى، وفشت الأمراض بالقاهرة ومصر، وعظم الموتان..".⁽⁴⁵⁾ وهو ما يُشير إلى كثرة أعداد الموتى، ومن سقطوا ضحايا بسبب الطاعون.

وزادت أعداد الموتى بشكل لا يمكن تصوره في ذلك الوقت، حتى يقال في بعض الروايات إن كل دار من دور المستورين وأهل اليسر بمدينة القاهرة كان يُلقى أمام بابها عدد من الأموات حتى يقوموا بدفنهم⁽⁴⁶⁾. وتذكر بعض المصادر التاريخية أن عدة من هلك بمصر وحدها بسبب هذا الطاعون في ذلك الوقت بلغ نحو "127" ألف شخص⁽⁴⁷⁾. ولاشك أن هذا رقمٌ هائلٌ بالطبع، ويُشير إلى أي مدى بلغ البلاء بالناس آنذاك. كما تذكر المصادر أنه لما تزايد الوباء بمصر كان يخرج من كل بابٍ من "أبواب القاهرة"⁽⁴⁸⁾ في كل يوم ما يزيد على 700 ميت، وكان يتم تغسيل نحو 150 ميت من الغرباء، وممن كان يُعثر عليهم طُرحاء الأرض، ولما زادت الأمور سوءاً أكثر، لم يعد الناس يُغسلون الموتى، بل كانوا يدفنونهم دون غُسل، ولا كفن، وكان الشخصُ يدفن في ثوب، ولما كان يُوضع في حفرته، كان يُؤخذ ثوبه حتى يكفن فيه ميتٌ آخر حتى كان الناس في ذلك الوقت يكفنون عدة أموات بالثياب ذاتها⁽⁴⁹⁾.

وبحسب بعض الروايات، بلغ عددٌ من كان يموت بالمدن والقرى المصرية في ذلك الوقت بسبب ذلك القحط والوباء قرابة "ثلاثة" آلاف شخص كل يوم⁽⁵⁰⁾. بينما يذكر "ابن إياس" (ت: 930هـ) في روايته نقلاً عن "أبي شامة" (ت: 665هـ)، أن السلطان "العادل كتُبغا" قام بتكفين أعدادٍ هائلةٍ ممن كانوا يموتون بسبب ذلك "الطاعون"، ولاسيما أولئك الغرباء ممن لقوا حتفهم بغتةً في الشوارع والطرقات⁽⁵¹⁾. وتذكر إحدى الروايات أن أعداد من مات في الطرقات من الغرباء فحسب بلغت نحو مائتين وسبعين ألف شخص⁽⁵²⁾. ويرى الباحث أن هذا الرقم الذي أورده "ابن إياس"، فيه إفراط ومبالغة كبيرة لا يمكن إغفالها؛ فإذا كان عدد من كفنهم السلطان من الغرباء ممن ماتوا في الطرقات يصل إلى هذا العدد الهائل، فكيف كان عدد الذين ماتوا بسبب ذلك الطاعون

إجمالاً، وذلك قياساً على من ماتوا في الطرقات من الغرباء؛ إذ على هذا السياق يُمكن أن نتحدث عن عدد ربما لا يقل عن 500 ألف شخص، أو ربما أكثر من ذلك أيضاً، وهو رقم لا يمكن القبول به بأية حال من الأحوال، ولا سيما مقارنة بما أورده المقرئزي في روايته، وهو أقرب لتلك الأحداث من المؤرخ ابن إياس.

الطاعونُ في بلاد الشام

تذكر المصادرُ أن بلاد الشام تعرضت هي الأخرى خلال النصف الثاني من القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي لعددٍ من الأوبئة والطواعين، وكذلك وقوع الكوارث الطبيعية الأخرى، وكان تأثيرها كبيراً على سكان هذه البلاد⁽⁵³⁾. وفي أواخر القرن السابع الهجري، ضرب القحط المدن والقرى في أرض فلسطين، وكذلك انتقل لباقي المدن في بلاد الشام على ساحل البحر المتوسط، ثم امتد هذا البلاء إلى المدن الأخرى حتى حلب⁽⁵⁴⁾. وقد أدى ذلك إلى أن زادت الأسعار بالمدن والقرى في بلاد الشام؛ حيث أضحى سعر الغرارة الواحدة من "القمح" نحو 220 درهماً، وصار سعر الشعير نحو 110 دراهم، وصار سعر رطل اللحم إلى نحو 10 دراهم، والفاكهة إلى أربعة أمثال ذلك⁽⁵⁵⁾.

ويبدو أنه كانت من أسباب تلك "المحنة" التي وقعت بالناس في بلاد الشام في سنة 695هـ انقطاع الأمطار لمدة طويلة عن هذه البلاد؛ حيث جفت الأنهار، ونضبت الينابيع، وزادت الأسعار بما لا يطقه الناس⁽⁵⁶⁾. كما بلغت الشدة بعض المناطق الأخرى في بلاد الشام؛ حيث ظهرت أعراضها في بلاد الكرك، والشوبك (الأردن حالياً)، حتى إن الولاية حملوا ما كانوا قد وضعوه في مخازنهم الخاصة، وكانت تلك المخازن ممتلئة بما يمكن أن يحتاج إليه هؤلاء الولاية في أوقات الضرورة القصوى، ولا سيما في حالات وقوع الحروب مع أعدائهم، وحملوا كل ذلك لسكان الأمصار التي كان قد وقع بها الضرر. يقول المقرئزي في روايته: "وكان ببلاد الكرك والشوبك، وبلاد الساحل لما يرصد للمهمات والبواكر، ما ينيف عن عشرين ألف غرارة، فحُملت إلى الأمصار...".⁽⁵⁷⁾ وعلى الرغم من أن "الوباء" الذي وقع بالشام لم يكن بالشدة ذاتها كما وقع بأرض مصر

على سبيل المثال، فإن بلاد الشام أصابها بعض الأمراض، وكذلك وقع بالسكان هناك الجفاف والقحط الشديد، وعلى هذا عانى السكان في هذه البلاد أشد المعاناة⁽⁵⁸⁾.

وعن ذلك الذي وقع، يقول المؤرخ "المقريزي" في روايته: "واشتد الأمر على أهل دمشق، ونابلس، وبعلبك، والبقاع، وغيرها، وكانت أيام غاية في الشدة من الغلاء، وكثرة الأمراض، والموت، وعموم الظلم.."⁽⁵⁹⁾. ومن شدة ما وقع بالناس في بلاد الشام من البلاء، والمعاناة الإنسانية في ذلك الوقت، يُشير بعض المؤرخين إلى أنه زادت أعداد الموتى، حتى يقال إنه كان يدفن في اليوم الواحد من الموتى ما يقارب ألفاً وخمسمائة شخص، وقد حدث ذلك بمدينة دمشق⁽⁶⁰⁾. وربما في المدة ذاتها التي كان قد وقع فيها هذا "الطاعون"، يذكر المؤرخ "ابن كثير" (ت: 774هـ) أن طائفة من الجيش الذي كان تابعاً لسلطين المماليك في بلاد الشام، وكانوا في أحد البلاد في مهمة عسكرية لهم، وهي تلك التي عُرفت في ثنانيا بعض الروايات التاريخية باسم: "وقعة حموص"⁽⁶¹⁾. وعلى هذا فقد أصاب جماعة من جنود الجيش المملوكي بعض الأمراض، وربما الأوبئة، وإن لم يذكر المؤرخ الدمشقي "ابن كثير" نوعية هذه الأمراض التي كانت قد أصابت هؤلاء الجنود في ذلك الوقت⁽⁶²⁾.

وقد عاد البعض من هؤلاء الجنود ممن أصابهم المرض⁽⁶³⁾ إلى ديارهم، ولانعرف على وجه التحقيق، أو اليقين، هل كانت لتلك الأمراض التي أصابت الجنود علاقة- بشكل أو بآخر- بذلك "الوباء" الذي وقع بالناس في مصر، وفي بعض الأقاليم في جزيرة العرب؟ وهل هو ذاته ذلك "البلاء" الذي أصاب الناس في العديد من مدن الشام، وفي غيرها في الوقت ذاته؟

الطاعون في بلاد الحجاز

تُشير المصادر التاريخية إلى أنه عم البلاء الشديد في الوقت ذاته الذي كان قد وقع فيه هذا "الطاعون"، والجفاف، والقحط خلال حقبة أواخر القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي (في سنة 695هـ) في كل من أرض مصر، وبلاد الشام من جهة، وكذلك في "جزيرة العرب" ولاسيما في أرض الحجاز، وما جاورها من الأقاليم من جهة أخرى⁽⁶⁴⁾.

وإن كان من المؤكد، فيما يرى الباحث، أن وقوع "الطاعون" و"الجفاف" كان في شكل وظروف تختلف من بلد إلى آخر. حيث تذكر الروايات والمصادر التاريخية أنه أقحطت أرض مكة المشرفة، وزادت المعاناة بأهلها، وكذلك وقع الجفاف والقحط فيما جاورها من المدن والقرى الأخرى الواقعة في نطاق بلاد الحجاز⁽⁶⁵⁾. ولهذا يقول المؤرخ "تقي الدين المقريزي" (ت: 845هـ) في ثنايا روايته المهمة في هذا الشأن: "وأقحطت مكة، فبلغ أربد القمح بها إلى...".⁽⁶⁶⁾ ومن الراجح أن السبب وراء ذلك يرجع فيما يبدو إلى انقطاع الأمطار عن السقوط في بلاد الحجاز، وهو ما أنتج أزمات اقتصادية حادة للسكان القاطنين في هذه البلاد، وكان من صور تلك الأزمات الاقتصادية أنه ارتفعت بأرض مكة أسعار الحبوب والأطعمة؛ حيث صارت الأسعار أضعاف ما كانت عليه من قبل، وكان من علامات ذلك الواضحة أنه بلغ سعر الأربد من حبوب "القمح" نحو 900 درهم، بينما وصل سعر الأربد من "الشعير إلى نحو 700 درهم"⁽⁶⁷⁾.

ومن المعلوم أن تلك الأوضاع الاقتصادية والمعيشية القاسية كانت قد اضطرت أعداد كبيرة من السكان القاطنين في أرض مكة أن يغادروا تلك البقاع الشريفة التي أصابها هذا البلاء بما لم يستطيعوا تحمله، وقد أدى نزوح السكان في ذلك الوقت إلى خلاء هذه البلاد حتى صارت أراضيهم شبه خاوية على عروشها، حيث تذكر المصادر في هذا الشأن: "فرحل أهلها (أي أهل مكة) حتى لم يبق بها إلا اليسير من الناس...".⁽⁶⁸⁾

ولم يكن هذا حال أهل مكة وحدهم، بل كانت تلك - فيما يبدو - حالة العامة والبسطاء من السكان في أكثر الأقاليم في بلاد الحجاز؛ فقد أخذ الناس ينزحون من باقي المدن والقرى الأخرى، ولا ريب أنهم كانوا يبحثون عن مأوى جديد لهم خارج أراضيهم⁽⁶⁹⁾. ولعل من أوضح ما ورد عن ذلك الذي وقع في المصادر التاريخية، ما يذكره المقريزي، حيث يقول: "ونزحت سكان قرى الحجاز...".⁽⁷⁰⁾ ومن المؤكد أن تلك إشارات تاريخية واضحة على أن الأمر فيما يخص نزوح السكان من أرض مكة وباقي سكان الحجاز عن بيوتهم، وأراضيهم، لم يكن ذلك لمجرد وقوع القحط والجفاف في بلادهم على ما يبدو، بل كان، في الغالب، فيما يرى الباحث، بسبب وقوع بعض الأمراض والأوبئة. ويرى البعض أن من نتائج تلك الأحوال القاسية التي كابدها السكان

في بلاد الحجاز، بروز ظاهرة الهجرة الجماعية، وكان ذلك بالطبع بحثاً عن الأمان والسلامة، وما كان يحتاج إليه الناس خلال هذه المحنة⁽⁷¹⁾.

الطاعون في بلاد اليمن

لم يكن أهل اليمن بدورهم بعيدين عن هذا البلاء، وتلك المعاناة القاسية التي أصابت الناس أواخر القرن السابع الهجري/ القرن الثالث عشر الميلادي؛ حيث أصاب السكان في بلاد اليمن "القحط" و"الطاعون" في آن واحد، وعن ذلك الذي وقع، يذكر المقرئزي: "وعدم القوت ببلاد اليمن، واشتد الوباء، فباعوا أولادهم في شراء القوت.."⁽⁷²⁾. وتُشير هذه الرواية إلى أن المصاب الذي وقع بأهل اليمن كان من أشد ما يكون، وهي تذكر أن أهل هذه البلاد ومن شدة ما وقع بهم من الوباء والقحط الشديد، وذلك إلى الحد بأن البعض منهم كانوا يبيعون أبناءهم من أجل الحصول على طعامهم وأقواتهم بحسب تلك الرواية الأنفة. وللحق - فيما يرى الباحث - أنه لم تذكر أي من المصادر التاريخية أمراً كهذا وقع في أي من البلاد الأخرى التي كان قد أصابها هذا "الوباء" والقحط في ذلك الوقت. وقد كان من الطبيعي على أية حال أن تفر أعداد كبيرة من سكان بلاد اليمن، ويبدو أنهم اتجهوا صوب المناطق الساحلية التي تطل عليها بلادهم. ويذكر "المقرئزي" في روايته، أنه لما هرب الناس باليمن، وتركوا بيوتهم، وكذلك حدث الأمر ذاته بأرض مكة، وباقية بلاد الحجاز، فإن هؤلاء الفارين من الوباء ذهبوا إلى المناطق التي تطل على الساحل، وفي الغالب كانت تقع على سواحل "البحر الأحمر" (بحر القلزم)، فهي السواحل الأقرب لهم جميعاً، ومن المعلوم أنه في هذه المنطقة تلاقي أهل اليمن الفارون من الوباء والجفاف بسكان مكة وما جاورها، وقد زادت الأحوال بهم سوءاً؛ حيث تذكر المصادر: "فالتقوا بأهل مكة، وضاعت بهم البلاد، ففنوا كلهم بالجوع إلا طائفة قليلة"⁽⁷³⁾.

هكذا كان الحال في أقاليم "جزيرة العرب"، سواء في أقاليمها الشمالية، أم الجنوبية منها، وفي أرض مصر، وفي بلاد الشام، وكذا في بعض الأقاليم بالمغرب الإسلامي، ويبدو أن هذا "الوباء"، أو تأثيراته كانت قد شملت بلاداً أخرى لم ترد تفاصيلها لنا. وعلى أية حال تذكر المصادر التاريخية أنه خلال حقبة أواخر القرن السابع الهجري/

الثالث عشر الميلادي لم تنقطع فيها الأوبئة، والجفاف والقحط بالمشرق الإسلامي، وكان منها ما وقع في بعض المدن في بلاد فارس، وقد كان أكثرها حدة، ذلك "الوباء" الذي كان قد وقع بمدينة "شيراز" الفارسية⁽⁷⁴⁾، وعن ذلك، يقول "ابن الفوطي" في روايته: "وفيها (أي سنة 698هـ) كان في بلاد فارس قحط ووباء، مات فيه خلق كثير خصوصاً بشيراز. . " (75)؛ وهو ما يعني أن هذه الوباء الذي وقع في بلاد فارس كان قريباً - بشكلٍ أو بآخر - من الناحية الزمنية بـ "الوباء" الذي نحن بصدده.

ثالثاً- دورُ السُّلطةِ والأُمراءِ والأثرياءِ في مساعدةِ الفقراءِ بمواجهةِ الطاعونِ

لم تختفِ السُّلطةُ من المشهدِ خلال تلك المحنة التي ضربت البلدان الإسلامية في أواخر القرن السابع الهجري، ولا سيما في أرض مصر، التي كانت من أكثر البلاد تضرراً، وهذا على الرغم من اتهام البعض سلطان مصر في ذلك الوقت (أي كتبغا) بأن حكمه كان نذير شؤم على بلادهم⁽⁷⁶⁾. ويشير البعض إلى أن السلطان حاول بشكلٍ أو بآخر أن يقوم بحصر أعداد الفقراء والمحتاجين لتوزيعهم على الأثرياء⁽⁷⁷⁾. وكان السلطان قد ألزم الأثرياء بأن يتكفلوا بالفقراء، ومن الراجح أن ذلك لم يكن بمصر وحدها، وإنما امتد ذلك القرار في رأي الباحث إلى البلاد الأخرى التي كان يحكمها المماليك (-648 923هـ). ولا ريب أن ذلك الذي فعله السلطان خفف حدة الفاجعة التي وقعت بالناس. كما يذكر ابن إياس (ت: 930هـ)، أن السلطان "كتبغا" قام بتكفين أعداد هائلة من الموتى بسبب الطاعون ولا سيما أولئك الغرباء ممن كانوا يلقون حتفهم في الطرقات⁽⁷⁸⁾. غير أنه من اللافت أن ابن إياس يذكر أن عدد من كفنهم السلطان من ماله الخاص على هذا النحو بلغ مائتين وسبعين ألفاً من الموتى⁽⁷⁹⁾.

ويرى الباحث أن هذا الرقم فيه مبالغة، وهو ما أشرنا إليه آنفاً، غير أن تلك الرواية تُشير إلى أن السلطة الحاكمة آنذاك كانت تهتم بأمر ذلك الطاعون، ومواجهته، وأظهرت جدية كبيرة من أجل التخفيف عن رعاياهم، وهو - بلا شك - أمرٌ محمود من جانب الحكام. ويذهب آخرون إلى أن السلطان حاول أن يُعالج تلك الكوارث التي أصابت البلاد في أيامه بقدر ما يستطيع، فأمر بإحضار ما يمكن جلبه إلى مصر من الحبوب،

جاءت من بلاد الشام⁽⁸⁰⁾. وعلى أية حال، فعلى الرغم من سوء الأوضاع أيام السلطان "كتبغا"، فإن الكثيرين يؤكّدون في الوقت ذاته أنه كان شديد الاهتمام بما كان يواجهه رعيته خلال تلك المحنة، وأن هذا السلطان كان يشعر بمعاناة الفقراء وذوي الحاجة في كل أقاليم السلطنة التي كان يحكمها⁽⁸¹⁾.

كما أمر السلطان بضرورة اتباع "سياسة التقشف" في توزيع الأقوات، والجرايات، وكذلك الرواتب على الأمراء، وكذا أصحاب الرتب السلطانية، والأميرية، والديوانية، ولهذا قلت كمية الجرايات المعتادة بسبب تلك الظروف القاسية التي كانت تمر بها البلاد، ومن ثمة تباعدت الفترة بين الواحدة والأخرى، وذلك ضماناً لحسن التصرف فيما هو متاح لديهم من المؤن والأطعمة، والأقوات، على قلتها، وبما يتناسب مع الأحوال العسيرة التي كانت تعصف آنذاك بالسلطنة المملوكية⁽⁸²⁾. كما تذكر المصادر أن السلطان "العادل كتبغا" أمر بمقابلة الأمراء كافة، وأمرهم بأن يساعدوا الفقراء وذوي الحاجة، كما أرسل السلطان لكل واحد من "أمراء المائة" منهم نحو 100 من الفقراء، وذوي الحاجات ليتكفلوا بإطعامهم، كما أنه أعطى لكل واحد من "أمراء الخمسين" نحو 50 شخصاً من المحتاجين، كما أعطى لبعضهم أقل من ذلك⁽⁸³⁾.

وكان التعاطي مع تلك الأزمة يُشكل - دونما ريب - نوعاً من "التكافل الاجتماعي" الطيب في ذلك الوقت لتخفيف معاناة الفقراء، وذوي الحاجة، فقد كان كل غني يتكفل بإطعام جماعة من الفقراء، وقد كان ذلك التوزيع يتم على حسب طاقة كل منهم، وقدراته المادية. فقد كان من بين الأمراء من يُطعم الفقراء والمحتاجين الذين التزم بهم "لحم بقر مشروداً على مرققة الخبز"، وكان يجعل لكل مجموعة منهم مائدة، أو سماطاً صغيراً يأكلون منه، وكان من الأمراء من يبدو عليهم شيء من ضروب البخل، والإمسك المادي، فكانوا يُعطون الفقراء خبزاً لا أكثر، بينما كان بعضهم يُعطي الكعك، وكان آخرون يعطون للفقراء رقائقاً. وكان لبعض الأمراء والأثرياء أراضٍ شاسعة مزروعة بالمحاصيل، وكانوا يتركون من يريد أن يأكل منها، ولم يمنعوا أحداً من الفقراء، وكان منهم الأمير "فخر الدين الطنبغا"، وكانت من أملاكه جُملة 100 فدان من المزروعات، والمحاصيل تركها لمن يريد أن يأكل منها لقوته وطعامه⁽⁸⁴⁾. ولا ريب أن تلك المواقف الإنسانية على تنوعها -

بحسب كل ثري أو غني - تُعتبر من الأمور الطيبات، والبناءة، من طرف هؤلاء الأثرياء، وأهل اليسر، وحرصهم على مساعدة الفقراء والمعوزين، حتى يُقال: إن الله بارك لهم في أموالهم وزرعهم بسبب ذلك⁽⁸⁵⁾.

كما تذكر المصادر أن أحد الأمراء في ذلك الوقت ذهب ليتفقد الأجران التي كان بها الفول في أراضيه، ولم يجد سوى تل من القشر، وهو ما يعني أن الفقراء أكلوا الفول الخاص به وهو لا يزال أخضر، فأمر الأمير أن يُدرس "القشر" حتى ينتفع به "التبن" المُستخلص منه، ويقال إنه حصل من هذا "التبن" على نحو 760 إردباً، وهو حجم كبير غير معتاد، وقد عُد ذلك من قبيل "بركة الصدقة" بفضل أعمال البر التي قام بها⁽⁸⁶⁾. وكان من مظاهر "التكافل" في ذلك الوقت أن الناس بالقاهرة كانوا يضعون أعداداً من الموتى أمام بيوت الأثرياء والمستورين خلال تلك المحنة ليقوموا بتكفين الموتى، وكان هؤلاء الأثرياء مشغولين طوال اليوم بدفنهم⁽⁸⁷⁾. كما قام "الأطباء" بدورهم لتطبيب المرضى، ومعالجتهم، ومكافحة هذا "الوباء"، غير أنه كان وباءً أقوى من همتهم وعزيمتهم، ومن ثم أعجزهم بسبب كثرة الموتى والضحايا، ويبدو أنها كانت أعداداً كبيرة لا يستطيعون تحملها، أو مواجهتها، حيث كانت أكبر من طاقاتهم⁽⁸⁸⁾.

ويبدو أن الحُكام لما رأوا أن كل ذلك الذي تم لم يُخفف من المعاناة التي كان يكابدها الناس بالقدر الذي كانوا يأملونه، فإنهم قاموا بمصادرة أموال جامعي الضرائب في الأقاليم، والمدن، والقرى، واستخدموا تلك الأموال في التخفيف عن ضاق بهم الحال، لاسيما أن البعض من هؤلاء "الجُباة" و"جامعي الضرائب" كانوا - في الغالب - يجمعون الأموال عُتوة دون مراعاة لأحوال الناس، ثم يضعونها في خزائنهم الخاصة⁽⁸⁹⁾. وقد حاول الحُكام ورجال السلطة - من جانب آخر - التشديد، ومراقبة توزيع السلع والبضائع على التجار بأثمانٍ غالية؛ بهدف جمع مزيد من الأموال حتى يُستغل في الصرف الملائم للتغلب على تلك الأزمة الاقتصادية التي تمر بها البلاد، ومع ذلك زاد التجار في أسعار تلك السلع، وصارت تلك السلع بعيدة المنال عن الفقراء؛ ومن ثم اقتصر الشراء على الأثرياء والأغنياء⁽⁹⁰⁾.

وتشير بعضُ المصادر التاريخية إلى أن البعض من التجار ممن كانوا يحتكرون

الحبوب، والبضائع، كانوا يقومون بتخزينها في مخازنهم الخاصة حتى يقل المعروض منها في الأسواق، والحوانيت؛ ومن ثم كان طبيعياً أن ترتفع أسعار تلك السلع والبضائع بسبب قلة ما هو متاح منها، وهو ما يزيد من أرباح هؤلاء المحتكرين. وعلى الرغم من ذلك الذي حدث، فإنه لما زاد طول مدة "الغلاء" بما لم يتوقعه هؤلاء التجار، فقد تلفت تلك الأقوات، وفسدت الحبوب والسلع التي قاموا بتخزينها خلسةً، ولهذا لم ينتفع أكثرهم بها، وخسروا بسبب ذلك الكثير من الأموال والأرباح⁽⁹¹⁾. ويبدو أن ذلك كان عقاباً من الله تعالى - لهذه الطائفة من "التجار المحتكرين"؛ لأنهم استغلوا ظروف الناس القاسية، والشدة التي آلت بهم للحصول على مزيد من الأموال بهذه الطريقة غير المشروعة، فأفسد الله مخططهم، وترتيبهم الشرير، فأهلك أموالهم، وبدد ما كانوا قد ربحوه من تلك الأموال غير المشروعة.

وتذكر بعض المصادر التاريخية أنه حتى البعض من هؤلاء التجار المحتكرين ممن ربح الأموال بسبب الاحتكار الذي قاموا به، فإنهم خسروا الكثير منها بعد ذلك، حيث كان منهم من أقبل على بناء البيوت والقصور بهذا المال السُحت، فأحرق الله تلك البيوت التي بنوها عقاباً لهم⁽⁹²⁾. تلك بعض الأحداث التي ارتبطت بهذا "الوباء"، وما أشبه الليلة بالبارحة! فالكثير مما وقع في الماضي نراه يحدث أمامنا في هذه الأيام التي نمرُّ بها، وهذه قيمة الدراسات الإنسانية، وأهمية دراسة تاريخ تلك الأوبئة التي أصابت الناس عبر التاريخ، باعتبارها "تجربة إنسانية" يُمكن أن نعتبر بما وقع خلالها من الأحداث.

الخاتمة

وبعد تلك الإطلالة عبر الروايات والمصادر التاريخية التي تناولت وباء (طاعون) أواخر القرن 7هـ/13م، يمكننا استخلاص بعض الاستنتاجات المهمة:

- شهد أواخر القرن 7هـ/13م طاعوناً (أو وباءً) شديداً أصاب عدداً من البلاد الإسلامية في إقليم برقة، ومصر، وكذلك بلاد الشام، وبلاد الحجاز، وبلاد اليمن، وغيرها من البلاد، كما رافق هذا "الطاعون" وقوع الجفاف، والمجاعات، وكذلك الغلاء في هذه البلاد.

- أشارت الدراسة إلى أن هذا " الطاعون " ربما جاء من إقليم برقة، ثم انتقل إلى أرض مصر، ثم انتشر الوباء وكذلك القحط- في الوقت ذاته- في بلاد الشام، وشبه جزيرة العرب، وبلاد اليمن، وغيرها من البلاد الأخرى، ولا يُعرف على وجه اليقين أن هذا " الوباء " كان قد ظهر في هذه البلاد في الوقت ذاته بمحض المصادفة، أم أنه انتقل من بلد لآخر .
- أكدت الدراسة أن حدة المعاناة قد اختلفت بين الشعوب التي وقع بها الطاعون والمجاعات، وتباينت بشكل واضح من بلد إلى آخر، وهو ما تؤيده المصادر التاريخية، كما بينت الدراسة أن مصر كانت أكثر البلاد في العالم الإسلامي التي أصابها الضرر تأثراً من جراء وقوع ذلك الجفاف والطاعون، ويبدو ذلك من خلال أعداد الضحايا الكبيرة التي تتحدث عنها المصادر .
- أدى هذا الطاعون والجفاف إلى ارتفاع الأسعار في البلاد التي أصابها؛ وهو ما زاد من مُعاناة الناس في ذلك الوقت؛ حيث تضاعفت الأسعار بشكل غير مسبوق .
- أشارت الدراسة إلى أن السُلطة الحاكمة، وكذلك الأمراء، والأثرياء كان لهم دورٌ إيجابيّ إلى حدّ كبير في التعاطي مع هذا الطاعون، ومواجهته؛ إذ أمر السلطان الأثرياء والأمراء بكفالة الفقراء وذوي الحاجة، وأنهم قدموا صنوفاً من مظاهر التكافل الاجتماعي التي يحض عليها الدين الإسلامي في مثل هذه المحن التي قد تصيب الناس .
- وأشار البعض إلى أن الطاعون والمجاعات التي أصابت الناس تسببت في نقمتهم على العادل كتبغا سلطان المماليك، وأنهم نظروا لحكمه وكأنه نذير شؤم عليهم، كما أشار البعض إلى أن هذا الطاعون، وغيره من الطواعين الأخرى التي أصابت دولة المماليك، كانت سبباً في إضعاف هذه الدولة، وإصابة حكامها بالوهن .
- أكدت الدراسة أننا في حاجةٍ ماسّةٍ لدراسةٍ هذا النوع من الأوبئة، وأثرها؛ لناخذ العبرة مما وقع بالناس خلالها، وكيف عبر الناس تلك المحنة، وكيف كانت صور

التكافل بين الأغنياء والفقراء؛ ومن ثم تأكيد أن الأوبئة أمورٌ عارضةٌ في حياتنا، قد تضربُ الناس أحياناً، ويُعانون وقتها، ثم تذهبُ لحالها، ولكن يجب أن يعثبُها بعضُ التفكير، وكذا مراجعة النفس .

توصيات الدراسة

- تُوصي الدراسة بوجوب الاهتمام بدراسة الأوبئة والطواعين، وتاريخها، وتأثيرها على الشعوب عبر التاريخ؛ وذلك بهدف الاستفادة من مثل هذه الدراسات؛ إذ إن كل "وباء" منها أصاب الناس يُشكل تجربةً إنسانية مهمة، ربما نستفيد منها في أيامنا إبان مرورنا بمثلها مع إصابة شعوب العالم كافةً بوباء "كوفيد-19"، فلعلنا نأخذ من أحدث التاريخ عبرة لنا في كيفية التعاطي مع هذه الجائحة على الرغم من تغير الظروف والإمكانات العلمية والتقنية. ومن المؤكد أن دراسة الأوبئة والطواعين سوف تُساعدنا في فهم الحالة الإنسانية في تلك المرحلة من مراحل التاريخ الإنساني، ويمكن أن تفيد في كيفية فهم هذا "الوباء" الذي نمر به حالياً باعتباره ابتلاء من الله تعالى، أو ربما يكون له أسباب أخرى يمكن للإنسان أن يكون له يد فيها سواء عن قصد، أو غير قصد.

- كما تُوصي الدراسة بالاهتمام بعقد المؤتمرات والندوات العلمية التي تتناول تاريخ الأوبئة والطواعين عبر التاريخ؛ لأنها تزيد من التراكم الفكري والمعرفي للإنسان في مثل هذه الظروف التي نمر بها في هذه الأيام، ومن المؤكد أن العالم ما بعد حقبة "كوفيد-19"، ليس كقبله، ومن ثم فـ "الرؤية التاريخية" لمثل هذه الأحداث قد تقدم الكثير من التصورات للمُختصين في العلوم الأخرى بمثل هذه الأحداث الجسام التي مرت بالإنسان عبر التاريخ.

الهوامش والمراجع

- (1) ابن منظور: لسان العرب، ج8، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2014م، ص141.
- (2) لسان العرب، ص141. وقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: " وإن جُرعة شروب أنفع من من عذب

- موب (أي مورث) للوباء " لسان العرب، ج8، ص141، وقالوا: الباطل وبيء لا تحمد عقباه ". وقالوا: واستوبأت البلد والماء لسان العرب، ص141. وقال الرازي عن الوباء: " وبأ: الوباء بالقصر والمد مرض عام، وجمع المقصور: أوباء بالمد، وجمع الممدود: أوبئة. " الرازي: مختار الصحاح، ص706.
- (3) كلش، إسرائ عبدالجبار ذياب: أدب الكوارث الطبيعية في العصر المملوكي الأول (648-784هـ) دراسة موضوعية فنية، فلسطين: جامعة النجاح الوطنية، 2013م، ص14.
- (4) يذكر ابن خلدون أن من يموت في المجاعات إنما يكون بسبب " الشبع المعتاد السابق، وليس الجوع الحادث اللاحق"، ومن تعود على عدم الإفراط في الطعام، واشتهاء ما طاب، فلا تزال رطوبتهم الأصلية واقفة عند حدها بغير زيادة، وهي تقبل الأغذية الطبيعية، فلا يقع في أمعائهم الألم أو المرض بتبدل الأقوات، ولا تيبس الأمعاء ولا تنحرف، فيسلم هؤلاء في الغالب من الهلاك أو المرض (ابن خلدون: المقدمة، تحقيق: على عبدالواحد وافي، ج1، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2006م، ص401-402).
- كما يذكر أن المنغمسين في الخصب، المتعودين للأدوم والسمن خصوصاً، تكتسب أمعائهم رطوبة فوق رطوبتها الأصلية المزاجية حتى تُجاوز حدها، فإذا خولف بها العادة بقلّة الأقوات، أو المجاعات، وفقدان الأدوم، واستعمال الخشن غير المألوف من الغذاء أسرع للأمعاء اليس والانكماش، وهو عضو ضعيف في الغاية، فيسرع إليه المرض، ويهلك صاحبه (المقدمة، ج1، ص401). ومن لطائف ما قيل: " إذا رأيت أهل الجوع والتفكر، فادنوا منهم، فإن الحكمة تجري على ألسنتهم " الرازي، أبوبكر: كتاب زهر الربيع، تحقيق: مصطفى حجازي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2011م، ص288.
- (5) الجائحة: لفظ " الجائحة " لغة من جذر " جاح"، و " جاح الشيء": استأصله"، ومنه " الجائحة"، وجمعها: " الجوائح"، ويقال: " أجاحه"، أي " أهلكه بالجائحة" (مختار الصحاح، ص116). ويذكر ابن منظور (ت: 711هـ) أن " الجائحة هي الشدة والنازلة العظيمة تجتاح المال سنة أو فنة (لسان العرب، ج3/4، ص233). وتقول العرب: أصابتهم جائحة: أي سنة شديدة اجتاحت أموالهم، فلم تدع لهم وجاحاً، و "الوجاح" بقية الشيء من مال، أو غيره. وقال الشافعي: جماع الجوائح كل ما أذهب الثمر، أو بعضها من أمر سماوي، بغير جنابة آدمي. وقال ابن الأعرابي: جاح يجوح جوحاً: إذا هلك مال أقربائه. وقالوا: الجائحة تكون بالبرد يقع من السماء إذا عظم حجمه، وكثر ضرره. وقد تكون الجائحة بالبرد المحرق أو بالحر المفرط. . إلخ لسان العرب، المجلد2، ص233. وانظر الحججي، حياة ناصر: " المجاعة والطاعون وأثرهما على سلطنة المماليك"، حولية كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية، جامعة قطر: عدد7، 1984م، ص149.
- (6) بعض الإشارات التاريخية تتحدث عن قدوم هذا الطاعون من إقليم برقة غرب مصر. المقرئزي: إغاثة الأمة بكشف الغمة، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1999م، ص62-64.
- (7) حكم كتبغا بعد عزل الناصر محمد، ودام حكمه سنتين، واسمه: زين الدين كتبغا المنصور، وكان من سبي التتار، ولقب " الملك العادل"، وحكم حتى 996هـ، ثم نُحُلِع. السيوطي: حسن المحاضرة، تحقيق: خليل المنصور، ج2، بيروت: دار الكتب العلمية، 1997م، ص115-116. وكان نائبه " المنصور لاجين"

الذي خلعه، ثم حكم بعده . البكري، ابن السرور: النزهة الزهية، تحقيق: عبدالرازق عيسى، القاهرة: دار العربي للنشر، 1998م، ص 108. وللمزيد، ابن الفوطي: الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة، تحقيق: مهدي النجم، بيروت: دار الكتب العلمية، 2003م، ص 331-332. وقيل إن العادل تولى صرخدا أيام الناصر محمد . بردي، ابن تغري: المنهل الصافي، ج6، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990م، ص 13، لينبول، ستانلي: سيرة القاهرة، ترجمة: حسن إبراهيم حسن، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1997م، ص 183. وعن عزل كتبغا، يقول أبو الفداء: " وخلق كتبغا، وتملك السلطان الملك المنصور لاجين ثامن عشرين سنة سبع وتسعين وستمائة، ثم ملك السلطان الملك الناصر محمد . . " . أبو الفداء: التبر المسبوك، بيروت: دار الفكر، 1996م، ص 43. ابن إياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق: محمد مصطفى، ج 1، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1982م، ص 389.

(8) بردي، ابن تغري: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج8، القاهرة: الهيئة العامة لقصور الثقافة (وزارة الثقافة)، 2008م، ص 79، يوصف كتبغا بأنه كان قصير القامة، أسمر اللون أجروود اللحية، موسوماً بالشجاعة، وكان ديناً، خيراً، قليل الأذى، سليم الباطن، ومات وكان عمره 63 سنة ابن إياس: ج1، ص 393. وكان كتبغا قبل السلطنة نائباً للناصر محمد. المقرئ: السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق: عبدالعزيز جمال الدين، ج2، القاهرة: الهيئة العامة لقصور الثقافة، 2017م، ص 68.

(9) النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: محمد ضياء الدين الريس، مراجعة: محمد مصطفى زيادة، ج31، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1993م، ص 293.

(10) إغاثة الأمة، ص 63-64.

(11) النجوم الزاهرة، ج8، ص 78-79.

(12) النجوم الزاهرة، ج8، ص 78-79. وعن الطاعون يذكر س. لينبول: " وقد حدث مثل هذا حينما عزل كتبغا السلطان الطفل الناصر . أن الأشرفية أو ممالك السلطان الأشرف خليل قاموا بثروة وحاصروا القلعة. وحينئذ ركب قوات كتبغا لتقمع الثورة . . وكان نتيجة ذلك أن أصيب هؤلاء المتمردون بإصابات جسيمة قضت على الكثير منهم . . ولقد أعقب ذلك انتشار وباء (سيرة القاهرة، ص 183). وأدى انتشار الوباء ونقص النيل وزيادة الأسعار لكراهية الناس للعادل كتبغا، ويرى البعض أنه لم يكن موفقاً في سلطنته لأسباب معظمها خارج إرادته؛ إذ اقترن حكمه بأحداث شتى أثارت الشعب، وكرهته فيه، وأطلقت لسان العامة فيه، منها: المغول، والغلاء، وتناقص النيل، وتزايد الوباء (مرزوق، محمد عبدالعزيز؛ قلاوون، الناصر محمد بن: أعلام العرب، القاهرة: وزارة الثقافة والإرشاد القومي، 1964م، ص 115).

(13) بدائع الزهور، ج1، ص 389، ابن الفوطي: الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة، تحقيق: مهدي النجم، ط 1، بيروت: دار الكتب العلمية، 2003م، ص 337.

(14) يقول ابن كثير: " وفي مستهل هذه السنة، كان الغلاء والفناء بديار مصر شديداً جداً . " (ابن كثير: البداية والنهاية، تحقيق: أحمد أبو ملحم (وآخرين)، ج13، بيروت: دار الكتب العلمية، د. ت، ص 363).

- (15) الحوادث الجامعة، ص 337، ويعتبر ابن الفوطي من مؤرخي بغداد المعروفين.
- (16) الحوادث الجامعة، ص 337.
- (17) إغاثة الأمة بكشف الغمة، ص 63.
- (18) عاشور، سعيد عبدالفتاح: مصر في عصر سلاطين الأيوبيين والمماليك، مصر عبر العصور (تاريخ مصر الإسلامية) سلسلة تاريخ المصريين، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1993م، ص 437. وعن أهم أسباب الأزمات أيام المماليك، يقول سعيد عبدالفتاح عاشور: "وعلى الرغم من المتاعب والأزمات التي تعرض لها الناس أحياناً في عصر سلاطين المماليك بسبب انخفاض النيل، وانتشار الأوبئة، أو بسبب الفتن بين طوائف المماليك، أو عسف بعض الحكام.. ." (مصر في عصر سلاطين الأيوبيين والمماليك، ص 437).
- (19) نهاية الأرب، ج 31، ص 293.
- (20) النجوم الزاهرة، ج 8، ص 78-79.
- (21) بدائع الزهور، ج 1، ص 389.
- (22) برقة: وهي من مدن شرق ليبيا، وكانت لها أهمية خلال العصر الوسيط، يقول ابن حوقل: "فأما برقة فمدينة ليست بالكبيرة الفخمة، ولا الصغيرة الزرية، ولها كور عامرة، غامرة، وهي في بقعة فسيحة.. . ويطوف بها من كل جانب منها بادية يسكنها الطوائف من البربر، وهي برية جبلية.. . وبها من التجار، وكثرة الغرباء في كل وقت ما لا ينقطع طلاباً لما فيها من التجارة، وعابرين عليها مغربين ومشركين.. ." (ابن حوقل: صورة الأرض، القاهرة: شركة نوابغ الفكر، 2009م، ص 72-73). وتعتبر برقة من أهم المراكز على الطريق من مصر إلى القيروان، ولهذا يقول الإدريسي: "وهي أول منبر ينزله القادم من بلاد مصر إلى القيروان.. ." (الإدريسي: نزهة المشتاق، ط 3، ج 1، القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، 2018م، ص 310). ويحدد البعض المسافة بين الفسطاط بمصر وبرقة بنحو 60 ميلاً، ومن برقة إلى القيروان أكثر من 600 ميل (ابن الفقيه: مختصر كتاب البلدان، ط 1، القاهرة: شركة نوابغ الفكر، 2011م، ص 78).
- (23) أدب الكوارث الطبيعية، ص 11.
- (24) أدب الكوارث الطبيعية، ص 11.
- (25) العيني: عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، تحقيق: محمد أمين، ج 8، القاهرة: الهيئة العامة للكتاب، 1987م، ص 275، وانظر: أدب الكوارث الطبيعية، ص 15.
- (26) ابن الجزري: تاريخ حوادث الزمان (المعروف بـ"تاريخ ابن الجزري")، تحقيق: عمر عبدالسلام تدمري، ج 2، بيروت: المكتبة العصرية، 1998م، ص 257. أدب الكوارث الطبيعية في العصر المملوكي الأول، ص 15.
- (27) إغاثة الأمة، ص 62.
- (28) إغاثة الأمة، ص 62-63، وانظر: نهاية الأرب، ج 31، ص 293.
- (29) يذكر المقرئبي: "وكان قرب أوانها، فعند إدراك الغلال، هبت ريحٌ سوداء مُظلمة، من نحو بلاد برقة

- هبوباً عاصفاً، وحملت تراباً أصفر كسأ زروع البلاد، فهافت كُلهَا (أي ذبلت)، ولم يكن بها إذ ذاك إلا زرع قليل، ففسدت بأجمعها، وعمت تلك الريح والتراب إقليم البحيرة، وإقليم الشرقية، ومرت إلى الصعيد الأعلى، فهافت الزرع، وفسد الصيفي من الزرع، كالأرز، والسمسم، والقلقاس، وقصب السكر، وسائر ما يزرع على السواقي، فتزايدت الأسعار. "، إغاثة الأمة، ص 63.
- (30) " الحمى " (وجمعها: الحميات) من أفسى الأمراض التي تصيب الإنسان، وهي ترتبط دوماً بالأمراض الشديدة والأوبئة التي تصيب البشر، ولهذا كان العرب يقولون: " حمى ليلة كفارة سنة . . . الثعالبي: الطرائف واللطائف، تحقيق: ناصر محمدي محمد جاد، القاهرة: الهيئة العامة لقصور الثقافة، 2015م، ص 403.
- (31) إغاثة الأمة، ص 63.
- (32) ومن أمثال ذلك، ارتفاع أسعار العسل والسكر، وانعدمت الفواكه، وقد صار سعر الفروج بثلاثين درهماً، وبيعت البطيخة الواحدة بأربعين درهماً، وكان الرطل من البطيخ يباع بدرهم واحد، وأضحى سعر السفرجل الثلاث حبات بدرهم، وكان سعر البيض كل ثلاث منها بدرهم، ومن ثم ارتفعت الأسعار إرتفاعات حادة بما لم يعتده الناس في ذلك الوقت. كما يقول المقرئ: " وتزايد القمح إلى مائة وتسعين الإردب، والشعير إلى مائة وعشرين، والفول والعدس إلى مائة وعشر دراهم الإردب. " إغاثة الأمة، ص 63.
- (33) رياح الخماسين: هي رياح جنوبية حارة، يتكرر هبوبها بتولد أو غزو الانخفاضات الجوية الصحراوية لمصر منذ أواخر الشتاء وبدايات الصيف، وتنشط مثيرة للرمال والأتربة، ثم يصفو الجو بعدها لدى دخول الهواء البارد قادمًا من البحر المتوسط، وربما يمتد تأثير الرياح حتى أوروبا. وخلال هبوبها تكثر الحرائق في القرى المصرية بسبب التغيرات الفجائية في اتجاه الرياح، وسرعتها، ومن المعلوم أنه يرافق هبوب هذه الرياح انتشار الأمراض. ويعني مصطلح الخماسين، أي الخمسين يوماً التالية لعيد شم النسيم - الموسوعة الثقافية، دار المعرفة بالتعاون مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، مطابع دار الشعب، القاهرة، ص 429.
- (34) الموسوعة الثقافية، 429.
- (35) إغاثة الأمة، ص 64. وعن انتشار هذا الوباء في الكثير من البلاد الإسلامية تقول الدكتورة حياة ناصر الحجري: " ويشير ابن الفرات إلى أن ذلك الوباء الكبير شمل معظم بلاد مصر والشام والحجاز، وهذه العبارة توضح بما لا يدع مجالاً للشك أن الوباء كان عظيماً؛ بحيث إنه اجتاحت الولايات الكبرى الثلاث التي تشكل سلطنة المماليك. "، المجاعة والطاعون وأثرهما على سلطنة المماليك، ص 149.
- (36) في أيام طاعون سنة 695هـ نقص ماء النيل بشدة عن المنسوب المعتاد في كل عام، وهو ما أصاب الزراعة، ومن ثم غلت الأسعار، وارتفعت ارتفاعاً فاحشاً بمصر في ذلك الوقت (الناصر محمد بن قلاوون، ص 116).
- (37) إغاثة الأمة بكشف الغمة، ص 64.
- (38) السلوك، ج2، ص 85.
- (39) ابن الفرات: تاريخ ابن الفرات، تحقيق: قسطنطين زريق، ج8، بيروت: المكتبة الأمريكية، 1948م،

- ص 199 . المجاعة والطاعون وأثرهما على سلطنة المماليك ، ص 150 .
- (40) المجاعة والطاعون ، ص 150 .
- (41) من المعروف أن الارتفاع المعتاد لمياه النيل 16 ذراعاً ، فإذا زاد عن ذلك كان الفيضان ، وإذا قل كان القحط والجفاف ، وفي هذا الشأن يذكر ابن الكندي أنه إذا تم ست عشرة ذراعاً وفي خراج مصر ، فإذا زاد بعد ذلك ذراعاً واحدة زاد في الخراج مائة ألف دينار ، وإذا زاد بعد ذلك ذراعاً أخرى نقص مائة ألف من الخراج (ابن الكندي : فضائل مصر المحروسة ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1997م ، ص 41-42) . بينما يذكر ابن زولاق أن النيل له زيادات ونقصان تنتهي إليه ، وجميع السنين التي قصر النيل فيها عن ثماني عشرة ذراعاً مائة سنة وسنة ، وكان أقل ما وجد في مقياس النيل من النقصان سنة 197هـ ، حيث وجد فيه 9 أذرع و 21 إصبع ، وأقل ما وجد فيه سنة 165هـ ، إذ وجد به ذراع واحدة و 10 أصابع ، بينما كان أكثر ما بلغ من الزيادة سنة 79هـ ، حيث بلغ منسوبه أكثر من 18 ذراعاً ، وكان أقل ما كان في الظمأ سنة 356هـ فإنه بلغ 12 ذراعاً و 17 إصبغاً أيام كافور الإخشيدي ، ابن زولاق : فضائل مصر وأخبارها ، تحقيق : على محمد عمر ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1999م ، ص 78 . وللمزيد ، ابن ظهيرة : الفضائل الباهرة ، تحقيق : مصطفى السقا ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 2016م ، ص 161 .
- (42) يقول ابن بطوطة (ت : 779هـ) في روايته عن منسوب النيل : " وأول ابتداء زيادته في حزيران ، وهو يونيو ، فإذا بلغت زيادته ست عشرة ذراعاً ، تم خراج السلطان ، فإن زاد ذراعاً كان الخصب في العام ، والصلاح . . . فإذا بلغ ثماني عشرة ذراعاً أضر بالضياع ، وأعقب الوباء ، وإن نقص ذراعاً عن ست عشرة نقص خراج السلطان ، وإن نقص ذراعين استسقى الناس ، وكان الضرر . . . " ، ابن بطوطة : مُحفة النظر ، تحقيق : محمد السعيد ، ج1 ، القاهرة : المكتبة التوفيقية ، د . ت ، ص 36-37 .
- (43) لاريب أنه لما هاجر أهل البلاد الأخرى إلى أرض مصر زادت أحوال المصريين سوءاً وشدة ، ولهذا يقول المقرئزي : " واشتد الأمر بمصر ، وكثر الناس بها من أهل الآفاق ، فغظم الجوع ، وانتهب الخبز من الأفران والحوانيت ، حتى كان العجين غذاء خرج من الفرن انتهبه الناس فلا يحمل إلى الفرن ، ولا يخرج الخبز منه إلا ومعه عدة يحمونونه بالعصي من النهاية ، فكان من الناس من يلقي بنفسه على الخبز ليخطف منه ، ولا يبالي بما ينال رأسه ، وبدنه من الضرب ، لشدة ما نزل به من الجوع . . . " ، إغاثة الأمة ، ص 64 .
- (44) إغاثة الأمة ، ص 64 . الناصر محمد ، ص 116 .
- (45) إغاثة الأمة ، ص 64 .
- (46) الناصر محمد بن قلاوون ، ص 116 .
- (47) السلوك ، ج2 ، ص 87 .
- (48) من المعروف أن أبواب القاهرة كان يبلغ عددها آنذاك ثمانية أبواب ، فكان بابان من هذه الأبواب في كل اتجاه من الاتجاهات الأربعة المعروفة ، وكان أشهر تلك الأبواب : بابا الفتوح والنصر ، وباب زويلة ، وباب الشعرية ، وباب البحر . إلخ . ويعني ذلك أن كل باب كان يخرج منه 700 ميت بحسب رواية تقي الدين المقرئزي ؛ أي أن عدد الموتى كل يوم خلال الطاعون كان ربما يبلغ (8 x 700) 5600 شخص .

- (49) السلوك، ج2، ص87. كما يذكر المقرئزي أيضاً: "وعجز الناس عن مواراة الأموات في القبور لكثرتهم، ولقلة من يحضر لهم، فعملت لهم حفار كبار ألقيت فيها الأموات من الرجال والنساء والصبيان حتى تمتلىء الحفرة، ثم نظم بالتراب، وانتدب أناس لحمل الأموات، ورميهم في الحفر. . . ، السلوك، ج2، ص86-87. وللمزيد عن ضحايا هذه الوباء، وعدد الموتى، انظر سيرة القاهرة، ص183.
- (50) إغاثة الأمة، ص65.
- (51) بدائع الزهور، ج1، ص390.
- (52) بدائع الزهور، ص390. أما عن رواية ابن إياس كاملة، فإنه يقول: "قال الإمام أبو شامة في تاريخه: إن الملك العادل كتبنا كفن من ماله في مدة يسيرة من مات من الغرباء في الطرقات نحواً من مائتي ألف وسبعين ألف إنسان، حتى جافت منهم الطرقات والحارات والأزقة، وسار الرجل يكون ماشياً فيقع ميتاً في الحال عن دابته، أو ماشياً. . . ، بدائع الزهور، ج1، ص390.
- (53) إغاثة الأمة، ص3. الشومرة، نافذ محمد عبدربه: "الكوارث الطبيعية وآثارها في بلاد الشام في العصر المملوكي (648-923هـ/1250-1517م)"، رسالة ماجستير، جامعة الخليل: د.ت، ص36. وكان من أشهر هذه الطواعين في بلاد الشام: طاعون الذي وقع في سنة 656هـ/1258م، وكذلك طاعون سنة 658هـ/1259م، كما ضرب الشام طاعون في سنة 749هـ/1348م، وكان هذا الأخير طاعون شديد جاء من بغداد، وقد تأثرت به مناطق شتى في العالم، وكذلك تفشى طاعون آخر في بلاد الشام سنة 764هـ/1363م وللمزيد، انظر "الكوارث الطبيعية وآثارها في بلاد الشام في العصر المملوكي (648-923هـ/1250-1517م)"، ص36. وتحدث الروايات عن طاعون سنة 656هـ أنه نتج عن أنه انتقل بسبب الهواء الفاسد الناتج عن تحلل جثث الموتى بعد سقوط بغداد على أيدي التتار، ثم انتقل الوباء إلى بلاد الشام، ثم اشتد الوباء في الشام بما لا يمكن وصفه، وقد أخذت الأدوية من لدن العطارين، وقل وجد الأطباء، وكان يخرج من حلب في اليوم الواحد نحو ألف ومائتي جنازة، كما زادت الأحوال سوءاً في دمشق حتى عز مغسلو الموتى، أدب الكوارث الطبيعية، ص14.
- (54) إغاثة الأمة، ص63. وللمزيد عما وقع بالشام آنذاك، انظر "المجاعة والطاعون وأثرهما على سلطنة المماليك"، ص160-161.
- (55) إغاثة الأمة، ص63.
- (56) "الكوارث الطبيعية وآثارها في بلاد الشام في العصر المملوكي (648-923هـ/1250-1517م)"، ص36، 53-54.
- (57) إغاثة الأمة، ص63.
- (58) إغاثة الأمة، ص67.
- (59) إغاثة الأمة، ص67.
- (60) المجاعة والطاعون، ص150.
- (61) تطلق المصادر على هذه البلاد اسم: (بلاد سيس)، وهي تقع حالياً بالقرب من مدينة أضنة في تركيا،

وللمزيد عن هذه البلاد، انظر البداية والنهاية، ج4، ص 14، ص 3.

(62) المنهل الصافي، ج6، ص 79.

(63) البداية والنهاية، ج14، ص 3.

(64) إغاثة الأمة، ص 63-64.

(65) المجاعة والطاعون، ص 158.

(66) إغاثة الأمة، ص 63.

(67) إغاثة الأمة، ص 63.

(68) إغاثة الأمة، ص 64.

(69) إغاثة الأمة، ص 64.

(70) إغاثة الأمة، ص 64.

(71) " المجاعة والطاعون وأثرهما على سلطنة المماليك "، ص 158.

(72) إغاثة الأمة، ص 64.

(73) إغاثة الأمة، ص 64.

(74) شيراز: مدينة تقع في بلاد فارس، أقامها محمد بن القاسم، وهو القائد المسلم الذي اشتهر بـ "فاتح بلاد الهند والسند"، وكان ابن القاسم ينتسب بصلته قرابة بالحجاج بن يوسف، حيث يقال إنه كان ابن عمه. وكانت شيراز معسكراً لجيش المسلمين أيام الفتوحات لما أناخوا على فتح مدينة اصطخر،. ولما فتح المسلمون مدينة اصطخر تبرك ابن القاسم بهذا الموضع، ثم أقام به مدينة جديدة باسم "شيراز"، وللمزيد عن تأسيس شيراز، ابن حوقل: صورة الأرض، ص 262، الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: الدكتور إحسان عباس، بيروت: مكتبة لبنان، 1984م، ص 351، وانظر أيضاً مجهول: السلوة في أخبار كلوة، تحقيق: محمد علي الصليبي، سلطنة عمان: وزارة التراث القومي والثقافي، 1985م، ص 59. وانظر:

Setrag Manoukian: History & Production of the Culture of Shiraz, Booth-Clibborn Editions, PP. 2-4.

(75) الحوادث الجامعة، ص 337.

(76) الناصر محمد بن قلاوون، ص 117.

(77) " المجاعة والطاعون وأثرهما على سلطنة المماليك "، ص 151.

(78) بدائع الزهور، ج1، ص 390.

(79) بدائع الزهور، ج1، ص 390.

(80) الناصر محمد بن قلاوون، ص 116.

(81) " المجاعة والطاعون وأثرهما على سلطنة المماليك "، ص 151.

(82) " المجاعة والطاعون وأثرهما على سلطنة المماليك "، ص 151.

(83) إغاثة الأمة، ص 64. وللمزيد عن ذلك الذي قام به السلطان كتبغا في مصر، يقول الدكتور محمد عبدالعزيز

مرزوق: "وحاول السلطان كتبغا الذي اصطلحت عليه كل الظروف السيئة أن يعالج هذه الكوارث بقدر ما يستطيع، فأحضر من الشام ما استطاع من القمح، وأصدر إلى الأمراء بأن يعملوا على تخفيف حدة المجاعة بإطعام من يرسله إليهم من الفقراء والمحتاجين، ففعلوا ذلك كل في دائرته . . ."، الناصر محمد بن قلاوون، ص 116-117).

(84) إغاثة الأمة، ص 67.

(85) إغاثة الأمة، ص 67.

(86) "المجاعة والطاعون وأثرهما على سلطنة المماليك"، ص 151.

(87) الناصر محمد بن قلاوون، ص 116.

(88) الناصر محمد بن قلاوون، ص 117.

(89) "المجاعة والطاعون وأثرهما على سلطنة المماليك"، ص 151.

(90) "المجاعة والطاعون وأثرهما على سلطنة المماليك"، ص 151.

(91) إغاثة الأمة، ص 67.

(92) إغاثة الأمة، ص 67.



لجنة التأليف والتعريب والنشر



جامعة الكويت مجلس النشر العلمي

تشكلت لجنة التأليف والتعريب
والنشر - التابعة لمجلس النشر
العلمي بجامعة الكويت
في عام 1976 م .

* أهداف اللجنة :

- 1- توسيع دائرة النشر العلمي بمختلف التخصصات العلمية لأعضاء هيئة التدريس في جامعة الكويت .
- 2- إثراء المكتبة الكويتية بالكتب والمؤلفات العلمية والتخصصية والثقافية وكتب التراث الإسلامي باللغات العربية والأجنبية .
- 3- دعم وتنشيط عملية التعريب التي تعد من الأهداف الرئيسية التي انعقد عليها الإجماع العربي .

* مهام اللجنة :

طبع ونشر المؤلفات العلمية والدراسية والأكاديمية والكتب الجامعية (Text Book) . و المترجمة لأعضاء هيئة التدريس التي يرغب أصحابها في نشرها علي نفقة الجامعة . ويراعى التوازن في نشر هذه المؤلفات بحيث تغطي مختلف الاختصاصات في الكليات الجامعية .

توجه جميع المراسلات باسم رئيس اللجنة على العنوان التالي :

لجنة التأليف والتعريب والنشر / جامعة الكويت

ص.ب : 28301 الصفاة 13144 - دولة الكويت

تلفون : 4843185 / فاكس : 4843185

البريد الإلكتروني : atape @kuc01.kuniv.edu.kw

الموقع على الإنترنت : www.pubcouncil.kuniv.edu.kw/atape